تَعْظِيمُ اللّهِ تَعَالَى وَحُكْمُ شَاتِمِهِ

تَأْلِيفُ
عَبْدِ العَزِيزِ الطَّرِيفِي

دار المنهاج

تَعْظِيمُ اللّٰهِ تَعَالَى
وَحُكْمُ شَاتِمِهِ

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ حمدًا يَلِيقُ بقَدْرِهِ، وأَشْكُرُهُ شُكْرًا امتثالًا لأَمْرِهِ، وأُقِرُّ أَنَّ الخَلْقَ عاجِزُونَ عن تعظيمِهِ حقَّ عظمَتِهِ؛ لعدَمِ إِحاطَتِهِم به عِلْمًا.

نِعَمُهُ ﷻ لا تُحْصَى، وشُكْرُها لا يُوَفَّى، له الآخِرَةُ والأُولَى، وإِلَيْهِ الرُّجْعَى؛ لا إِلهَ إِلَّا هو، وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولا مَعْبُودَ بحَقٍّ سِوَاهُ.

وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على النَّبِيِّ الأُمِّيِّ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإِنَّ مِن أَعْظَمِ الواجِبَاتِ العقليَّةِ والنَّقْلِيَّةِ؛

معرفةَ قَدْرِ الخَالِقِ سبحانَهُ الَّذي تُقِرُّ بوَحْدَانِيَّتِهِ الكائناتُ، وكُلُّ مَخْلُوقٍ في نَفْسِهِ فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ على عَظَمَةِ خالقِهِ، وعَظِيمِ صُنْعِهِ وإبداعِهِ؛ فلو رَجَعَ كُلُّ واحدٍ لنَفْسِهِ فنَظَرَ فيها وأَبْصَرَها، عَرَفَ قَدْرَ خالِقِها ﷻ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وقد قالَ نُوحٌ عليه السلام لقومِهِ: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ [نُوح: ١٣ـ ١٤].

قالَ ابنُ عَبَّاسٍ ومُجَاهِدٌ: «لا تَرْجُونَ للهِ عَظَمَةً»(١).

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ أيضًا: «ما لَكُمْ لا تُعَظِّمونَ اللهَ حقَّ تعظيمِهِ»(٢).

أَرْجَعَهم نُوحٌ إلى تَأَمُّلِ أَنْفُسِهِم وأَطْوَارِهِم

---

(١) «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٢) «جامع البيان» للطبري (٢٣/ ٢٩٦)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٥/ ١٥٦).

لِيَعْرِفُوا حَقَّهُ عليهم؛ فالنَّظَرُ في النَّفْسِ وأَطْوَارِها كافٍ في تعظيمِ اللهِ ومعرفةِ قَدْرِهِ؛ فكَيْفَ بالنَّظَرِ في سائِرِ مخلوقاتِ اللهِ في كونِهِ في السَّماءِ والأَرضِ! وإِنَّما يَجْهَلُ النَّاسُ عَظَمَةَ اللهِ لأَنَّهم يَنْظُرُونَ إِلى آياتِهِ بِلا بَصِيرَةٍ، ويَمُرُّونَ عليها بعَجَلَةٍ واستِمْتَاعٍ؛ لا باعتِبَارٍ واستِبْصَارٍ وتَفَكُّرٍ وتأَمُّلٍ:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

فَلا تُفِيدُ الآياتُ، ولا تَنْفَعُ المعجزَاتُ عُقُولًا مُعْرِضَةً، وقلوبًا غافِلَةً، ولا يُعَظِّمُ اللهَ إلا مَن رآهُ، أَو رأَى آياتِهِ وعَرَفَ صفاتِهِ؛ ولهذا يَضْعُفُ قَدْرُ اللهِ في القلوبِ الغافِلَةِ المُعْرِضَةِ؛ فيُعْصَى ويُكْفَرُ، ورُبَّما يُسَبُّ ويُسْتَهْزَأُ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!! ويُعْصَى العظيمُ بمِقْدَارِ الجَهْلِ بعَظَمَتِهِ، ويُكْفَرُ به ويُجْحَدُ حَقُّه بمِقْدَارِ ما نَقَصَ مِن قَدْرِهِ ومَنْزِلَتِه في القُلُوب، ويُطَاعُ الضَّعِيفُ بمقدارِ الجهلِ بضَعْفِهِ،

ويُعْبَدُ ويُعَظَّمُ بمِقْدَارِ ما زادَ مِن قَدْرِهِ ومَنْزِلَتِهِ في القُلُوب.

ولهذا عَبَدَ المُشْرِكُون الأَصْنَام، وكَفَرُوا بمَنْ يُحْيِي العِظَام؛ قال تعالى مُبَيِّنًا هذا الخَلَلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٤].

* **ومِن تعظيمِ الله تعالى**: معرفةُ صفاتِهِ وأسمائِهِ، وتأَمُّلُ آياتِه، وتَدَبُّرُ آلائِهِ وإنعامِه، وتقليبُ البَصَرِ والبصيرةِ في أحوالِ الأُمَمِ الغابِرَةِ، وعاقِبَةِ المُكَذِّبِ والمُصَدِّقِ والمُؤْمِنِ والكافِرِ.

* **ومِن تعظيمِ الله تعالى**: معرفةُ شَرَائِعِه وأوامِرِه ونَوَاهِيه، وتعظيمُها بامتِثَالِها والعَمَلِ بها؛ فذلك يُحْيِي في القَلْبِ الإيمانَ، فللإيمانِ حرارةٌ

وقَبَسٌ؛ تَبْرُدُ حرارَتُه وينطَفِئُ قَبَسُه إذا كان مَن تُؤْمِنُ به يَأْمُرُ فلا يُؤْتَمَرُ بأَمْرِه، ويَنْهَى فلا يُنْتَهَى عن نَهْيِه؛ ولذا قال تعالى عن تعظيم شَعِيرَةِ الهَدْيِ ونُسُكِ الحَجِّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فتعظيمُ الأمرِ والنهيِ مِن تعظيمِ الآمِرِ؛ ولذا لا يَظْهَرُ الإلحادُ في حقِّ اللهِ، ويُجْحَدُ ويُكْفَرُ ويُسَبُّ إلا وقد سَبَقَ ذلك تعطيلٌ لأوامِره ونواهِيه، واستِهَانَةٌ بها.

وقدِ اشتَهَرَ سَبُّ اللهِ تعالى عندَ بعضِ العامَّةِ المُعْرِضِينَ الجاهِلِينَ باللهِ وبقَدْرِهِ، المُعَطِّلِين ـ قَبْلَ ذلك ـ لأوامِره ونَوَاهِيه؛ خاصَّةً في بلادِ الشَّامِ والعراقِ، وبعضِ بُلْدَانِ إِفْرِيقيا، ووصفُهُ ورَمْيُهُ ـ تبارَكَ وتعالى ـ بأَلْفَاظٍ يَعْظُمُ على المُؤْمنِ ذِكْرُها أو سَماعُها، ورُبَّما قالَها أَقْوَامٌ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُم مُسْلِمِين؛ لأَنَّهم يَنْطِقُونَ بالشَّهادَتَيْنِ، ورُبَّما صَدَرَتْ

مِن بعضِ المُصَلِّين، وأَجْراها الشَّيْطَانُ على أَلْسِنَتِهِم، وسَوَّلَ لكثيرٍ منهم أَنَّهم لا يَقْصِدُونَ معناها، ولا يريدونَ تنقُّصًا للخالقِ! وسَوَّلَ لهم أَنَّها مِن لَغْوِ القَوْلِ الَّذي لا يُتَوَقَّفُ عندَهُ! فتساهَلُوا لأَجْلِ ذلكَ!

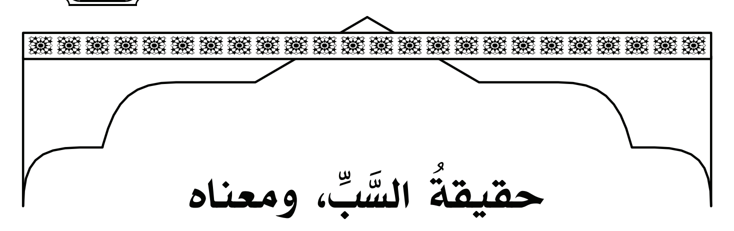
ومثلُ هذا يحتاجُ إلى بيانٍ ـ مع وضوحِ خَطَرِهِ وفَسَادِهِ في العقولِ الصَّحِيحَةِ، وفي كُلِّ الشَّرائعِ السَّماويَّةِ ـ قَطْعًا لتَسْوِيلِ الشَّيطانِ وحَبائِلِهِ، وتعظيمًا للخالِقِ تباركَ وتعالى، وتنزيهًا لَهُ مِن كلِّ شَيْنٍ على أَيِّ وَجْهٍ نَطَقَ به اللِّسَانُ، وبأَيِّ قَصْدٍ أَرادَتْهُ النُّفوسُ.

فأَقُولُ على سبيلِ الاختصارِ:

إِنَّ السَّبَّ ـ وهو: كُلُّ كلامٍ، أو فعلٍ؛ يُقْصَدُ بِهِ الانتقاصُ والاستخفافُ مِن اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ كُفْرٌ، لا يختَلِفُ المسلمون في ذلك؛ سواءً أكانَ

ذلكَ باستهزاءٍ جادٍّ، أَم لَعِبٍ ومِزَاحٍ وهَزْلٍ، أَم غَفْلَةٍ وجَهْلٍ! لا فرقَ بينَ مقاصِدِ النَّاسِ في ذلكَ؛ لأَنَّ العِبْرَةَ بالظَّاهِرِ.

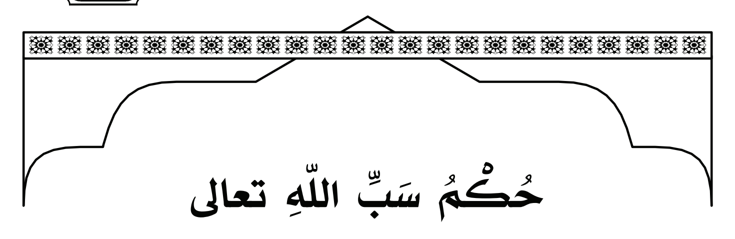




حقيقةُ السَّبِّ، ومعناه

كُلُّ ما يُسَمِّيهِ النَّاسُ سَبًّا، أو استهزاءً، أو تنقُّصًا في عُرْفِهِم، فهو كذلكَ في الشَّرْعِ؛ فالعِبْرَةُ بالرُّجُوعِ إلى ما تعارَفَ عليه النَّاسُ، مِثْلُ اللَّعْنِ، والإهانَةِ، والقَوْلِ الفاحِشِ، والإشارَةِ الفاحِشَةِ والسَّيِّئَةِ باليَدِ، وكذلكَ العباراتُ الَّتي يستَعْمِلُها أَهْلُ بَلَدٍ مُعَيَّنٍ ويُسَمُّونَها استِهْزَاءً وسبًّا؛ فهي سَبٌّ! ولو كانتْ عندَ بُلْدَانٍ أُخْرَى لا تُعْتَبَرُ سَبًّا.





حُكْمُ سَبِّ اللّٰهِ تعالى

لا يَخْتَلِفُ أهلُ الإسلامِ أَنَّ سَبَّ اللهِ كُفْرٌ، ويُقْتَلُ السابُّ له سبحانَه؛ وإنَّما يختَلِفُون في قَبُولِ توبَتِه، وهل تَمْنَعُه توبَتُهُ ـ إنْ تابَ ـ مِن القَتْلِ أو لا؟ على قولَيْنِ مشهورَيْنِ للعلماءِ.

والسَّبُّ والاستهزاءُ مِن أعظَمِ الأَذِيَّةِ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧ ـ ٥٨].

وأَذِيَّةُ اللهِ لا تَعْنِي ضَرَّهُ سبحانَهُ؛ **فالأَذَى على نوعَيْنِ**: أَذًى يَضُرُّ، وأَذًى لا يَضُرُّ، واللهُ تعالى لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ!

ففي الحديثِ القُدُسِيِّ، قالَ تعالى: «**يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي**»(١).

* واللهُ لَعَنَ مَنْ آذاهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، **واللعنُ**: طَرْدُ العبدِ مِنَ الرَّحمَةِ، والآيَةُ دالَّةٌ على طَرْدِهِ مِنَ الرَّحْمَتَيْنِ؛ الرَّحْمَةِ الدُّنيويَّةِ والرَّحْمَةِ الأُخْرَوِيَّةِ، ولا يُطْرَدُ مِنَ الرَّحْمَتَيْنِ إِلَّا كافِرٌ باللهِ! ويتجلَّى هذا بأَنَّ اللهَ ذَكَرَ بعدَ ذلك مَن آذَى المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ فلم يَذْكُرْ لعنتَهُ لهم في الدَّارَيْنِ؛ لأَنَّ النَّاسَ لا يُكَفَّرُونَ بمُجَرَّدِ أَذِيَّتِهِم لبَعْضِهم بالسَّبِّ واللَّعْنِ والقَذْفِ، وإِنَّما هو بُهْتَانٌ وإِثْمٌ مُبِينٌ؛ إِذا لم يَكُنْ على ذلك بَيِّنَةٌ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّ لِمَنْ آذاهُ ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، والعَذَابُ المُهِينُ لم يَذْكُرْهُ اللهُ في القرآنِ؛ إلا في حَقِّ الكافِرِينَ به سبحانَهُ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

* وسَبُّ اللهِ تعالى؛ كُفْرٌ فوقَ كلِّ كفرٍ، وهو فوقَ كفرِ عُبَّادِ الأَصْنَامِ؛ لأَنَّ عُبَّادَ الأصنامِ إِنَّما عَظَّمُوا الأحجارَ لِتَعْظِيمِهِم للهِ! فهم لم يُنْزِلُوا قَدْرَ اللهِ حتَّى يُسَاوُوهُ تعالى بالأَحْجَارِ، وإِنَّما رَفَعُوا الأَحْجَارَ حتَّى تُسَاوِيَ اللهَ؛ ولهذا يقولُ المشركونَ بعدَ دخولِهِمُ النَّارَ:

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٧ ـ ٩٨].

هؤلاءِ رَفَعُوا الحَجَرَ لِيُسَاوَى به اللهُ، ولم يُنْزِلُوا قَدْرَ اللهِ تعالى لِيُسَاوِيَ الحَجَرَ! فتعظيمُهُم للحَجَرِ مِن تعظيمِ اللهِ بزَعْمِهِم! ومَن سَبَّ اللهَ، أَنْزَلَهُ تعالى ليكونَ دُونَ الحَجَرِ بسَبِّهِ له سبحانَه، والمشركون لا يَسُبُّونَ آلِهَتَهُم ولو لَعِبًا؛ لأَنَّهم يُعَظِّمُونَها! لهذا يَسُبُّونَ مَن سَبَّها!

وقد أَنْزَلَ اللهُ على نَبِيِّهِ ﷺ قولَهُ تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

مع أَنَّ المشركينَ كُفَّارٌ؛ إِلَّا أَنَّ اللهَ مَنَعَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ سَبِّ أَصْنَامِهِم؛ حتَّى لا يَرْتَكِبُوا بِعِنَادِهِم كُفْرًا فوقَ كُفْرِهِم، وهو سَبُّ إِلَهِ محمَّدٍ ﷺ.

* وبعضُ ألفاظِ السبِّ للهِ تعالى أعظَمُ كُفْرًا مِن الإلحادِ؛ لأَنَّ المُلْحِدَ نفى وجودَ خالِقٍ ورَبٍّ، ولِسَانُ حالِهِ: أَنِّي لو أَثْبَتُّهُ لعَظَّمْتُهُ!

وأَمَّا مَن زَعَمَ إيمانَهُ باللهِ؛ فهو يُثْبِتُ رَبَّهُ ويَسُبُّهُ، وهذا أَظْهَرُ عِنَادًا وتحدِّيًا!!

ونَصْبُ الأَصْنامِ في بَلَدٍ مِن البُلْدَانِ، والطَّوافُ حَوْلَها والسُّجودُ لها والتَّبَرُّكُ بها؛ أَهْوَنُ عندَ اللهِ مِن اشْتِهَارِ سَبِّ اللهِ في نوادي ذلكَ البَلَدِ وشوارعِهِ وأَسْوَاقِهِ ومَجَالِسِهِ؛ لأَنَّ اشتهارَ سَبِّهِ ـ سبحانَهُ ـ أَعْظَمُ مِن تشريكِ الأَوثانِ معَهُ،

مَعَ كونِ الفِعْلَيْنِ كُفْرًا؛ إِلَّا أَنَّ المُشْرِكَ يُعَظِّمُ اللهَ، والسَّابَّ يُحَقِّرُهُ! تعالى اللهُ عن ذلكَ.

* وسَبُّ اللهِ واشتِهَارُهُ في بَلَدٍ، أَعْظَمُ مِنِ استحلالِ الزِّنَى وتشريعِهِ فيها، وأَعْظَمُ مِن فاحشةِ قَوْمِ لُوطٍ وتشريعِها؛ لأَنَّ كُفْرَ استحلالِ الفواحِشِ كُفْرٌ سَبَبُهُ جَحْدُ تشريعٍ مِن تشريعاتِ اللهِ واستهانةٌ بأَمْرٍ مِن أوامِرِه، وأَمَّا السَّبُّ؛ فكُفْرٌ سَبَبُهُ الكُفْرُ بذاتِ المُشَرِّعِ، والكُفْرُ بذاتِ المُشَرِّعِ يَلْزَمُ منهُ كُفْرٌ بجَمِيعِ تشريعِهِ، واستهانَةٌ بها؛ وهذا أَعْظَمُ وأَشَدُّ، مع كَوْنِ كِلَا الفِعْلَيْنِ كفرًا؛ إِلَّا أَنَّ الكُفْرَ دَرَكَاتٌ؛ كما أَنَّ الإيمانَ دَرَجاتٌ.

* ولَمَّا ذَكَرَ اللهُ كُفْرَ النَّصارى وسَبَّهُمْ للهِ بوَصْفِهِم الوَلَدَ لَهُ، ذَكَرَ جُرْمَهُم ووَصَفَ أَثَرَهُ أَعْظَمَ مِن وَصْفِهِ لشِرْكِ الوَثَنِيِّينَ وعُبَّادِ النُّجُوم، فقالَ تعالى:

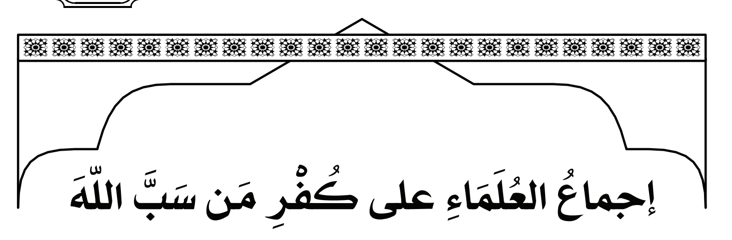
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥].

لأَنَّ وَصْفَ الوَلَدِ تنقُّصٌ للهِ تعالى، وسَبٌّ لَهُ سبحانَهُ، وهو أَعْظَمُ مِمَّا لو عَبَدُوا اللهَ وأَشْرَكُوا غيرَهُ معَهُ، فرَفَعُوا المخلوقَ وعَظَّمُوهُ كتَعْظِيمِ اللهِ؛ لأَنَّ وَصْفَ الوَلَدِ إِنْزَالٌ للخالِقِ ليُشَابِهَ المخلوقَ، وعبادَةُ الصَّنَمِ رَفْعٌ للمخلوقِ ليُساوِيَ الخالِقَ، وإِنْزَالُ قَدْرِ الخالِقِ أَعْظَمُ مِن رَفْعِ قَدْرِ المخلوقِ وأَشَدُّ كفرًا.

والسَّبُّ يُنَافِي الإيمانَ الظَّاهِرَ والباطِنَ؛ يُنافي قولَ القلبِ، وهو التَّصديقُ باللهِ والإيمانُ بوجودِهِ وحَقِّهِ بالعبادَةِ، **وكذلكَ يُنَافِي عَمَلَ القَلْبِ**، وهو محبَّةُ اللهِ وتعظيمُهُ وتوقيرُهُ؛ فلا يُقْبَلُ زَعْمُ التَّعظيمِ لأَحَدٍ وأَنْتَ تَسُبُّهُ؛ كتَعْظِيمِ اللهِ وتَوْقِيرِ الوالِدَيْنِ، فمَن زَعَمَ توقيرَ والدَيْهِ وهو يَسُبُّهُما ويستهزِئُ بهما؛ فهو كاذِبٌ في زَعْمِهِ!

وكذلكَ فإِنَّ سَبَّ اللهِ تعالى يُنَاقِضُ الإيمانَ الظَّاهِرَ، وهو القَوْلُ والفِعْلُ.



إجماعُ العُلَمَاءِ على كُفْرِ مَن سَبَّ اللّهَ

يَتَّفِقُ العلماءُ مِن كلِّ مَذْهَبٍ مِمَّنْ يقولُ: إنَّ الإيمانَ قَوْلٌ وعَمَلٌ؛ أَنَّ سَبَّ اللهِ كُفْرٌ، ولا اعتِبَارَ بأَعْذَارِ السَّابِّ للهِ في كلِّ سَبٍّ أو تَنَقُّصٍ صريحٍ باتِّفَاقِهم.

روى حَرْبٌ في «مسائلِهِ» عن مُجَاهِدٍ عن عُمَرَ رضي الله عنه **أَنَّهُ قالَ:** «مَنْ سَبَّ اللهَ، أَو سَبَّ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَاقْتُلُوهُ»[(١)].

وروى لَيْثٌ عن مُجَاهدٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما **قالَ:** «أَيُّمَا مُسْلِمٍ سَبَّ اللهَ، أَو أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ؛ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولَ اللهِ، وَهِي رِدَّةٌ؛ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ رَجَعَ، وَإِلَّا قُتِلَ! وَأَيُّمَا مُعَاهَدٍ عَانَدَ فَسَبَّ اللهَ،

---

(١) كما في «الصارم المسلول» (ص١٠٢).

أَو أَحَدًا مِنَ الأَنبياءِ، أَو جَهَرَ بِهِ؛ فَقَدْ نَقَضَ العَهْدَ فَاقْتُلوهُ»(١).

وقد سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عمَّن سَبَّ اللهَ؟ فقالَ: «هَذَا مُرْتَدٌّ تُضْرَبُ عُنُقُهُ»؛ كما رواهُ عنهُ ابْنُه عبدُ اللهِ في «مسائله»(٢).

وقد حكى إجماعَ العلماءِ على كُفْرِهِ واستحقاقِهِ القَتْلَ غيرُ واحدٍ:

• **قالَ ابنُ راهَوَيْهِ ـ رحمهُ اللهُ تعالى ـ:** «أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ أَنَّ مَنْ سَبَّ اللهَ، أَو سَبَّ رَسُولَهُ، أو دَفَعَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أو قَتَلَ نَبِيًّا مِن أنبياءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّهُ كَافِرٌ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُقِرًّا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ»(٣).

• **وقالَ القاضي عِيَاضٌ** رَحِمَهُ اللهُ: «لا خِلَافَ أَنَّ سَابَّ اللهَ مِنَ المُسْلِمينَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ»(٤).

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٢٠١).

(٢) (ص٤٣١).

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٤/٢٢٦)، و«الاستذكار» له (٢/١٥٠).

(٤) «الشفا» (٢/٢٧٠).

وحكى الإجماعَ ـ أيضًا ـ ابنُ حَزْمٍ، وغيرُهُ، ونَصَّ على الكُفْرِ أَئِمَّةٌ؛ كابنِ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيِّ، وابنِ قُدَامَةَ، وغيرِهِما[1].

وهكذا جميعُ العلماءِ يَنُصُّونَ على كُفْرِ مَن سَبَّ اللهَ، ولا يَقْبَلُونَ منهُ عُذْرًا؛ لأَنَّ أَدْنَى العقولِ معرفَةً تُمَيِّزُ السَّبَّ مِن غَيْرِهِ، وتَعْرِفُ المَدْحَ مِن الذَّمِّ، ولكنْ يتساهَلُونَ في الجَسَارَةِ عليهِ!

وقد سُئِلَ ابنُ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ المالِكِيُّ عن رَجُلٍ لَعَنَ رَجُلًا ولَعَنَ اللهَ معَهُ؛ فقالَ الرَّجُلُ معتَذِرًا: إِنَّما أَردتُّ أَنْ أَلْعَنَ الشَّيطانَ فزَلَّ لِسَانِي!

فقالَ ابنُ أَبِي زَيْدٍ مُجِيبًا: «يُقْتَلُ بِظَاهِرِ

(١) «المحلى» لابن حزم (١١/ ٤١١)، و«المغني» لابن قدامة (٩/ ٣٣)، و«الصارم المسلول» لابن تيمية (ص٥١٢)، و«الفروع» لابن مفلح (٦/ ١٦٢)، و«الإنصاف» للمرداوي (١٠/ ٣٢٦)، و«التاج والإكليل» للمَوَّاق (٦/ ٢٨٨).

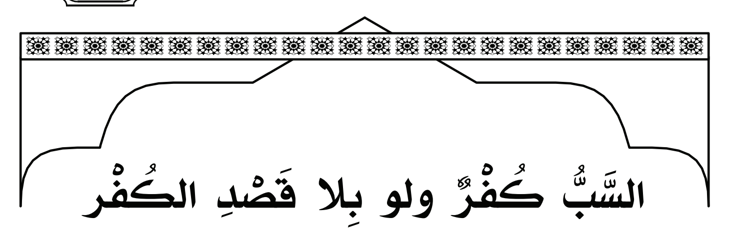
كُفْرِهِ، وَلا يُقْبَلُ عُذْرُهُ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَازِحًا أو جَادًّا»[١].

وهكذا العلماءُ والقُضاةُ يُفْتُونَ ويَقْضُونَ في جميعِ المذاهِبِ الفقهيةِ ـ كالأَرْبَعَةِ والظَّاهِرِيَّةِ ـ بالحُكْمِ على الظَّاهرِ، ولا يَعْتَدُّونَ بالباطِنِ، وإنْ زَعَمَ السَّابُّ أَنَّ ما في باطنِهِ غيرُهُ!

ولو أَرْجَعَ العُلَمَاءُ مُخالفاتِ الظَّاهِرِ الصَّريحَةَ لدعاوى الباطنِ المخالِفَةِ للظَّاهِرِ، لَسَقَطَتِ الأَسماءُ الشَّرْعِيَّةُ والأَحْكَامُ والعُقُوبَاتُ والحدودُ، ولأُهْدِرَتِ الحقوقُ والكَرَاماتُ؛ فلم يُمَيَّزْ مُسْلِمٌ مِن كافرٍ، ولا مُؤْمِنٌ مِن مُنَافِقٍ، ولأَصْبَحَ الدِّينُ والدُّنيا أُلْعُوبَةً على أَلْسِنَةِ السُّفَهَاءِ، وفي أَيْدِي مرضى القُلُوب.

۞ ۞ ۞

(١) «الشفا» لعياض (٢/ ٢٧١).



السَّبُّ كُفْرٌ ولو بِلا قَصْدِ الكُفْر

سَبُّ اللهِ تعالى كُفْرٌ لا يُخْتَلَفُ في ذلكَ، ولا اعتِبَارَ بتَسَاهُلِ العوامِّ بعَدَمِ القَصْدِ، وأَنَّ كلامَهُم بالسَّبِّ يَجْرِي بِلا تَعَمُّدِ السُّوءِ في حَقِّ اللهِ.

وهذا الاعتذارُ جَهْلٌ مِن أَهلِهِ! لا يقولُ بقَبُولِه إِلَّا الجَهْمُ بنُ صَفْوَانَ وغُلَاةُ المُرْجِئَةِ، الَّذينَ يقولونَ: إِنَّ الإيمانَ هو التَّصْدِيقُ والمعرفَةُ القَلْبِيَّةُ؛ **وهذا سَبَبُهُ عدمُ معرفَةِ أَنَّ الإيمانَ:**

قَوْلٌ وعَمَلٌ؛ أي: قولُ اللِّسَانِ والقَلْبِ، وعَمَلُ القَلْبِ والجوارحِ.

فغُلَاةُ المُرْجِئَةِ يَرَوْنَ أنَّ العَمَلَ الظاهِرَ لا يُثْبِتُ الإيمانَ، وعلى هذا فهو لا يَنْفِيه إلا بالرجوعِ إلى قَلْبِهِ.

والحَقُّ أنَّ الإيمانَ ظاهِرٌ وباطِنٌ، وكُلٌّ واحِدٍ منهما مع الآخَرِ يُثْبِتُ الإيمان، وبانتفاءِ واحِدٍ منهما ينتَفِي الإيمانُ كُلُّه.

وكما أَنَّ الكافِرَ يَكْفُرُ إذا نوى الكُفْرَ وقَصَدَهُ؛ ولو لم يَقُلْهُ بلِسَانِهِ، أو يَفْعَلْهُ بجَوَارِحِهِ، كذلكَ يَكْفُرُ بقَوْلِهِ؛ ولو لم يَنْوِ الكُفْرَ بقَلْبِهِ ولم يَفْعَلْهُ بجَوَارِحِهِ، وكذلكَ يَكْفُرُ مَن فَعَلَ الكُفْرَ؛ ولو لم يَقْصِدِ الكُفْرَ بقَلْبِهِ، ولم يَقُلْهُ بلِسَانِهِ.

وإذا فَعَلَتِ الجوارِحُ فِعْلًا حَرَامًا، أُخِذَتْ به، والسَّرائِرُ إلى اللهِ تعالى، وليسَ كلُّ مَن يُحْكَمُ بكُفْرِهِ ـ لظُهُورِ كُفْرِهِ الظَّاهرِ ـ يكونُ كافِرًا عندَ اللهِ باطِنًا؛ فأُمُورُ البواطِنِ إلى اللهِ تعالى، والظَّوَاهِرُ يؤاخَذُ بها العَبْدُ في الدُّنيا.

واللهُ تعالى حَكَمَ بكُفْرِ مَنِ استَهْزَأَ بهِ وبكِتَابِهِ وبرَسُولِهِ ﷺ، ولم يَقْبَلِ اعتِذَارَهُ بعَدَمِ قَصْدِ الجِدِّ؛ فقالَ اللهُ تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

والعقلُ دالٌّ على أَنَّ النَّاسَ يُؤَاخَذُونَ بما ظَهَرَ منهم؛ فلا يُقْبَلُ قَذْفُ بعضِهم بالزِّنَى، وكذلكَ لا يَقْبَلُ السُّلْطَانُ سَبَّهُ ولَعْنَهُ، ولوِ اعتَذَرَ النَّاسُ بعَدَمِ القَصْدِ! فاللهُ أَمَرَ بِحَدِّ القاذِفِ بِلا بَيِّنَةٍ حَدَّ الفِرْيَةِ: ثمانِينَ جَلْدَةً، ولا يُقْبَلُ مِن القاذِفِ قَصْدُ المزَاحِ واللَّعِبِ.

وكذلكَ هَيْبَةُ السُّلْطَانِ تَسْقُطُ إِذا كانَ يَتْرُكُ للنَّاسِ المزاحَ واللَّعِبَ بعِرْضِهِ؛ فتَراه يُعَاقِبُ ويُؤَدِّبُ النَّاسَ: الجادَّ منهم والهازِلَ.

وقد استفاضَتِ النُّصوصُ في مؤاخَذَةِ الإنسانِ بجِنَايَتِهِ وظُلْمِهِ الَّذي يَتَسَاهَلُ في معرفَةِ عَظَمَتِهِ ومَنْزِلَتِهِ المعروفةِ البَيِّنَةِ في العَقْلِ والنَّقْلِ، وعَدَمِ قَبُولِ عُذْرِهِ في ذلكَ.

ففي «الصَّحيحِ» عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»**(١).

فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ العذابَ ولم يَعْذِرْهُ معَ كونِهِ: لَمْ يُلْقِ لكلامِهِ بالًا! **أي**: أَنَّهُ لم يستَحْضِرْ قيمةَ قَوْلِهِ، ولا مِيزَانَ كلامِهِ؛ لأَنَّهُ مُتَسَاهِلٌ في تأَمُّلِ قولِهِ؛ فلو تَفَكَّرَ فيهِ وتأَمَّلَهُ أَدْنَى تأَمُّلٍ لَاتَّضَحَ لَهُ قُبْحُ قولِهِ وسُوءُ كلامِهِ.

وقَدْ جاءَ ـ أيضًا ـ في حديثِ بِلَالِ بنِ الحارِثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ:

«وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٤٧٨)، وأخرجه مسلم (٢٩٨٨) مختصرًا.

سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[١].

فاعتِذَارُ الإنسانِ بأَنَّ سَبَّ اللهِ تعالى ولَعْنَهُ ـ سبحانَهُ ـ يَجْرِي على لسانِهِ مِن غيرِ قَصْدِ التَّنَقُّصِ، أو تَعَمُّدِ الإهانَةِ: اعتِذَارٌ يُسَوِّلُهُ إبلِيسُ للإنسانِ؛ حتَّى يُبْقِيَهُ على كُفْرِهِ، ويُسْكِنَهُ على بَغْيِهِ وظُلْمِهِ لنَفْسِهِ في حَقِّ رَبِّه، فالشَّيطانُ لا يُسَوِّلُ للإنسانِ الكُفْرَ إلَّا أَوْجَدَ لَهُ ما يُطَمْئِنُهُ به مِن الشُّبَهِ العَقْلِيَّةِ الواهِيَةِ، والشُّبَهِ الشَّرْعِيَّةِ الضَّعِيفَةِ الَّتي لا تَقُومُ على ميزانِ الفَهْمِ الصَّحِيحِ المُتَجَرِّدِ مِن الهَوَى.

ومِن تَسْوِيلِ إبليسَ وشُبْهَتِهِ على الإنسانِ: أَن يُهَوِّنَ لَهُ كُفْرَهُ وذَنْبَهُ باستِحْضَارِ طاعاتٍ للإنسانِ يُطْفِئُ بها حَسْرَةَ الذَّنْبِ، وأَلَمَ المعصيَةِ في قَلْبِ الإنسانِ المُذْنِبِ؛ كتسويلِهِ لمَن يَسُبُّ اللهَ مِن العامَّةِ أَنَّهُ ينطِقُ بالشهادتَيْنِ ويبَرُّ الوالدَيْنِ! ورُبَّما أَدَّى الصَّلَواتِ!

---

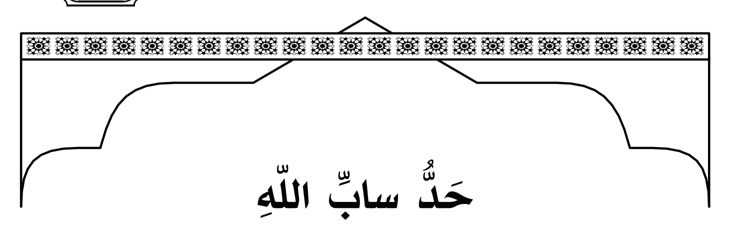
(١) «مسند أحمد» (٣/ ٤٦٩) رقم (١٥٨٥٢)، و«صحيح ابن حبان» (٢٨٠).

وبمِثْلِ هذا ضَلَّ المشركونَ العَرَبُ في مَكَّةَ؛ حيثُ أَشْرَكُوا باللهِ تعالى وعَبَدُوا الأَصنامَ مِن دُونِهِ، واستَحْضَرُوا في قلوبِهم سِقَايَةَ الحَاجِّ، وعِمَارَةَ المسجدِ الحرام، وكِسْوَةَ الكعبةِ، ولم يَنْفَعْهم هذا عندَ اللهِ؛ لأَنَّ إِشْرَاكَهُم مع اللهِ غَيْرَهُ يُنَافِي تعظيمَه، فهم يُعَظِّمُون البيتَ الحَرَامَ ويَكْفُرُونَ برَبِّ البَيْتِ! والبَيْتُ إنَّما عُظِّمَ لأجلِ رَبِّهِ، ولَمْ يُعَظَّمِ الربُّ لأجلِ بَيْتِه.

قالَ تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

وكثيرًا ما يكونُ إيمانُ الإنسانِ باللهِ دعوًى؛ لمُنَافَاتِها لغَيْرِها! قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

فلا يستَقِيمُ دعوى تعظيمِ اللهِ تعالى، والنُّطْقُ بالشَّهادتَيْنِ، مع سَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والاستهزاءِ به.



حَدُّ سابِّ اللّهِ

يتَّفِقُ العلماءُ على أَنَّ مَن سَبَّ اللهَ يُقْتَلُ كُفْرًا، ولا يَأْخُذُ أَحْكَامَ المسلِمينَ بعدَ قَتْلِهِ؛ مِن الصَّلاةِ عليهِ، وغَسْلِهِ وتَكْفِينهِ ودَفْنِهِ، والدُّعَاءِ لَهُ؛ فيَرَوْنَ أَنَّهُ لا يُصَلَّى عليه ولا يُغَسَّلُ ولا يُكَفَّنُ ولا يُدْفَنُ في مَقَابِرِ المسلمينَ، ولا يَجُوزُ الدُّعَاءُ لَهُ؛ لأَنَّهُ ليسَ مِن المسلمينَ!

وإِنَّما يَخْتَلِفُ العلماءُ في قَبُولِ توبَتِهِ لو تابَ مِن قَوْلِهِ أو فِعْلِهِ القَبِيحِ في حَقِّ اللهِ تعالى، وهل يُستتابُ قَبْلَهُ، أَو يُقْتَلُ ولا تُسْمَعُ توبَتُهُ في الدُّنيا، واللهُ يتولَّى باطنَهُ في الآخِرَةِ؟ **اختَلَفُوا في ذلكَ على قولَيْنِ مشهورَيْنِ للعلماءِ:**

القولُ الأَوَّلُ: عدمُ قَبُولِ توبَتِهِ، ووُجُوبُ

قَتْلِهِ بِلَا استتابَةٍ، وتوبَتُهُ إِلى اللهِ في الآخِرَةِ، وهذا المشهورُ عندَ الحنابِلَةِ وجماعَةٍ غَيْرِهِم مِن الفقهاءِ، وهو ظاهِرُ قولِ عمرَ بنِ الخطَّابِ وابنِ عبَّاسٍ، وغيرِهما كما سبقَ، وهو ظاهِرُ قولِ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ المَشْهُورِ.

وسببُ ذلكَ: أَنَّ التَّوْبَةَ لا تُسْقِطُ الجُرْمَ الظَّاهِرَ، ولا تَدْفَعُ مفسدَةَ التَّساهُلِ بسَبِّ اللهِ والاستهزاءِ بهِ لدى النَّاسِ؛ فبقَبُولِ التَّوبةِ يَتَسَاهَلُ النَّاسُ بهذا الذَّنْبِ العظيمِ، وإذا عُرِضُوا على السُّلْطَةِ والحُكْمِ أَظْهَرُوا التَّوبَةَ ثمَّ تُرِكُوا، **وهذا يُجَسِّرُ على الكُفْرِ، ويُهَوِّنُ أَمْرَهُ في نفوسِهم، والعُقُوبَاتُ إِنَّما شُرِعَتْ تأديبًا للجاني وتطهيرًا لَهُ، ورَدْعًا لغَيْرِهِ مِمَّنْ يَفْعَلُ أو يَقُولُ مِثْلَ قولِهِ وفِعْلِهِ**، وقَبُولُ التَّوْبَةِ يُسْقِطُ المَقْصدَيْنِ مِن العقوبَةِ!

القولُ الثَّاني: قالوا باستِتَابَتِهِ، وقَبُولِ توبَتِهِ؛

إِنْ ظَهَرَ منهُ الصِّدْقُ، وعدمُ العَوْدَةِ لمثلِ جُرْمِهِ، وبهذا يَقُولُ جُمْهُورُ الفقهاءِ.

وسببُ قَبُولِهم للتَّوْبَةِ: أَنَّ السَّبَّ كُفْرٌ، وتوبةُ الكافِرِ مِن كلِّ كفرٍ مقبولَةٌ، كالمُشْرِكِينَ والوَثَنِيِّينَ، والمَلَاحِدَةِ يَدْخُلُونَ الإِسلامَ، ودخولُهم يَمْحُو كُفْرَهُمُ السَّابِقَ، واللهُ يَقْبَلُ توبةَ مَن تابَ، ويَعْفُو عنهُ، والتَّعَدِّي على اللهِ بالسَّبِّ حَقٌّ لَهُ سبحانَهُ، وقد عَفَا اللهُ عمَّن ظَلَمَ نَفْسَهُ بسَبِّهِ سبحانَهُ، وقَبِلَ توبةَ كلِّ مُشْرِكٍ.

وهذا بخلافِ سَبِّ النَّبِيِّ ﷺ؛ فهو حَقٌّ يَجِبُ أَخْذُهُ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يَعْفُ عن كُلِّ مَن سَبَّهُ؛ لوفاتِهِ.

والأَصلُ في ذلكَ: أَخْذُ حَقِّهِ العظيمِ، وسَبُّ النَّبِيِّ كُفْرٌ، وفاعِلُهُ يَجِبُ في حقِّهِ القَتْلُ.

ثمَّ إِنَّ سَبَّ النَّبِيِّ ﷺ يؤثِّرُ في مَنْزِلَتِهِ في النَّاسِ، ويُضْعِفُ مكانَتَهُ في القلوبِ؛

بخلافِ سَبِّ اللهِ تعالى! فالسَّابُّ لَهُ لا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ.

* **والحقُّ**: أَنَّ مَنْ سبَّ اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ وَجَبَ قَتْلُهُ ولا يُستتابُ، وتوبَتُهُ إلى اللهِ يَلْقَاهُ بباطِنِهِ، ويُعَامِلُهُ اللهُ بعَدْلِهِ، أَو عَفْوِهِ.

ومَن سَبَّ اللهَ وتابَ وأَظْهَرَ توبَتَهُ قَبْلَ طَلَبِهِ والقُدْرَةِ عليهِ؛ قُبِلَتْ توبَتُهُ لظهورِ صِدْقِهِ، فحُكْمُهُ كحُكْمِ الكُفَّارِ الَّذينَ دَخَلُوا الإسلامَ طواعِيَةً، ولو كانوا يُقِرُّونَ بسَبِّهِم للهِ قبلَ إسلامِهم.

وسَبُّ اللهِ تعالى على نوعَيْنِ:

الأَوَّلُ: سَبٌّ مباشِرٌ:

كلَعْنِهِ، وذَمِّهِ، والاستِهْزَاءِ بهِ، وتنقُّصِهِ بذاتِهِ سبحانَهُ؛ فهذا يَأْخُذُ الأَحكامَ السَّابِقَةَ جميعَها، وهو المقصودُ عندَ إِطلاقِ العلماءِ لأَحكامِ سَبِّ اللهِ تعالى.

الثَّاني: سَبٌّ غيرُ مباشِرٍ:

كسَبِّ ما يَتَصَرَّفُ اللهُ بهِ مِن آياتِهِ ومخلوقاتِهِ الَّتي لا اختِيَارَ لها ولا كَسْبَ كاختيارِ الإنسانِ وكَسْبِهِ، وذلكَ كسَبِّ الدَّهْرِ، والأَيَّامِ، والسَّاعَاتِ، واللَّحَظَاتِ، والشُّهُورِ، والأَعْوَامِ، والكواكِبِ وسَيْرِها، فهذا لا يَأْخُذُ الأَحكامَ السَّابِقَةَ مِن كُفْرِ السابِّ وحُكْمِ قَتْلِهِ وغيرِ ذلك؛ إِلَّا معَ ظهورِ قَصْدِ مَنْ سَيَّرَها وأَجْرَاها والتَّصريحِ به سبحانَهُ.

وقد ثبتَ في «الصَّحيحَيْنِ»؛ عن أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(١).

وفي روايةٍ: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي**

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦).

أَنَا الدَّهْرُ؛ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ؛ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»(١).

والكواكِبُ كالشَّمسِ والقمرِ، وآثارُهما كالليلِ والنَّهارِ والأَزمِنَةِ، مُسَيَّرَةٌ لا مُخَيَّرَةٌ، لا تَخْرُجُ عن إِرادَةِ اللهِ وحدَهُ، وليسَ لَهَا مشيئةٌ ولا كَسْبٌ ولا اختِيَارٌ، ولا تُؤْمَرُ إِلَّا بأَمْرٍ كونِيٍّ، وليسَ لها الخروجُ عنهُ.

فسَبُّها تَعَدٍّ على مُسَيِّرِها وآمِرِها سبحانَهُ، واعتِرَاضٌ على حِكْمَتِهِ وإرادَتِهِ فيها.

ومِن أَجْلِ هذا جَعَلَ اللهُ تعالى سَبَّ الدَّهرِ سَبًّا لَهُ بطريقِ اللُّزُومِ!

ولم يَجْعَلِ اللهُ تعالى سَبَّ الإِنسانِ كسَبِّهِ سبحانَهُ؛ لأَنَّ الإِنسانَ لَهُ اختِيَارٌ ومَشِيئَةٌ جَعَلَها اللهُ لَهُ؛ قالَ تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٢٤٦).

وأَمَّا الكواكِبُ كالشَّمسِ والقمرِ، فقد قالَ تعالى فيها: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

والواجِبُ تعظيمُ اللهِ وصِفَاتِهِ!

* **ومِن تعظيمِ اللهِ تعالى:** تعظيمُ تدبيرِهِ وأَوَامِرِهِ ونواهِيهِ، والوقوفُ عندَها وامتِثَالُها، وعدمُ الخَوْضِ فيما لا عِلْمَ للإنسانِ به.

* **ومِن تعظيمِ اللهِ تعالى:** ذِكْرُهُ ودعاؤُهُ وسُؤَالُهُ، ورَبْطُ حوادِثِ الكَوْنِ بِهِ وحدَهُ؛ فهو خالِقُها ومُدَبِّرُها لا شَرِيكَ لَهُ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

وبهذا تَمَّتْ هذِهِ الرِّسالَةُ على سبيلِ الاختصارِ.

واللهُ وَحْدَهُ هو المُعِينُ والمُسَدِّدُ، لا شريكَ لَهُ، نَسْأَلُهُ حُسْنَ القَصْدِ، وعُمُومَ النَّفْعِ.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نَبِيِّنا محمَّدٍ، وآلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ.

كَتَبَه

عبدُ العَزِيزِ بنُ مَرْزُوقٍ الطَّرِيفِي

٢١ المُحَرَّم ١٤٣٤هـ

الفهرس

الموضوع الصفحة